الاستعمالات النحوية المتعددة لحروف المعاني في كتاب الكامل للمبرّد

The Numerous Grammatical Uses of Al-Ma’ani Letters in Al-Kamil Al-Mubarrad’s Book

أ.م.د. محمد عبد ذياب
Asst.Prof.Dr. Mohammed Abid Theyab
كلية العلوم الإسلامية / جامعة الفلوجة
University of Fallujah\ College of Islamic Sciences
E-mail: mhashimy67@gmail.com

الكلمات المفتاحية: نحو، حروف، المعاني، الكامل، المبرّد.

Keywords: Grammar, letters, meanings, alkamil, almbarrid.

الملخص

البحث يتمحور حول تعدد الاستعمال النحوي لحروف المعاني عند المبرّد (٢٨٥هـ) في كتابه (الكامل في اللغة والأدب) وهو كتاب جامع لصنوف اللغة والأدب، ماتع في أسلوبه وطريقته؛ لذلك كتب له الذيوع والانتشار عبر مراحل التاريخ، وفكرة البحث تقوم على تعدد الاستعمال لحروف المعاني عند المبرّد في كتابه هذا، فقد يكون اللفظ واحدا إلّا أنّه ذو معانٍ متعددة بحسب الاستعمال، وجاء البحث في تمهيد في ترجمة المبرد من جهة اسمه ونسبه ولقبه ومولده ونشأته ووفاته وشيوخه وتلامذته ومصنفاته، ثمّ وصف موجز لكتابه الكامل، ثمّ المهاد النظري للبحث كتعريف الحرف وحروف المعاني في الاصطلاح، ثمّ جاء الجزء التطبيقي مكوناً من مباحث بحسب الحروف كالأحادية ومنها الهمزة والباء، والثنائية ومنها (إنْ) و(أو) والثلاثية ومنها (على) و(كأنْ) والرباعية ومنها (لعلّ) و(لولا) .

Abstract

The research revolves around the linguistic use of letters of meaning in Al-Mubarrad (285 A.H.) in his book (Al-Kamil fi Language and Literature), It is a comprehensive book of all kinds of language and literature. It is distinguished by its style and method. The pages of history, and the idea of researching the translation of the file in terms of his name, lineage, surname, birth and upbringing. and his sheikhs, students and works, then a brief description of his complete book, Then the first chapter is in the theoretical section of the research, such as the definition of the letter and the letters of meanings in the terminology, then the applied chapter is made up of topics according to letters, such as monosyllabic, including hamza and baa, dualism, including (in) and (or), triple, including (on) and (as if) and quatrain, including (maybe) and (Lola), then a conclusion to the research.

المقدمة:

البحث يتمحور حول تعدد الاستعمال النحوي لحروف المعاني عند المبرّد (٢٨٥هـــ) في كتابه (الكلمل في اللغة والأدب) وعلماؤنا الأولئل ليســوا بعيدين منه، ومن هؤلاء المبرّد الذي يعدّ الامتداد الشرعي لما جاء به سيبويه (١٨٠هـــ) في كتابه، وإن لم تكن الاصطلاحات موجودة بنصّـها؛ فإنّ المصـطلحات تتغير، وآية ذلك أنّ مصـطلحات (الكتاب) تغيرت ولم تعد كما هي؛ فقد كان سـيبويه يعنون لأبواب كتابه بعنوانات واسـعة فضـفاضـة مرهقة أحياناً كقوله هذا باب للفاعلَيْنِ والمفعولَيْن للذين كلُّ واحد منهما يفعل بفاعله مثل للذى يفعل به وما كان نحو ذلك[١] الذي تبلور فيما بعد باصـطلاح (التنازع) ومع ذلك فلم يقلل ذلك من أهمية (الكتاب) بل بقي قبلة النحويين مثلما بقي سيبويه إمامهم.

أمّا الشـــولهد التطبيقية عند المبرّد فلعلّ من أشـــهرها ما نقله عبد للقاهر الجرجانيّ (٤٧١هـــ) من قصة المتفلسف الكنديّ (٢٦٠هـــ) الذي ذهب إلى أبي العباس المبرّد يسأله عن عبارات متشـــابهة من مثل (عبدُ الله قائمٌ وإنَّ عبدَ الله قائمٌ وإنَّ عبدَ اللهَ لقائمٌ) وقد ظنّ أنّ فيها حشـــواً قال (فالألفاظُ متكررةٌ والمعنى واحدٌ، فقال أبو العباس بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ؛ فقولهم عبدُ اللهِ قائمٌ" إخبار عن قيامه، وقولهم إنّ عبدَ اللهِ قائمٌ جواب عن سؤال سائل، وقوله إنَّ عبدَ اللهِ لقائمٌ جواب عن إنكار منكر قيامه؛ فقد تكررّت الألفاظ لتكرُّر المعاني)[٢] .

إنّ جواب المبرّد هو جواب يدل على مراعاة الحالة النفسية للسامع؛ فيضطر المتكلم إلى تغيير كلامه، والتصـــرّف فيه بما يلائم الموقف، ويحقق الوظيفة الأســـاســـية للغة وهي التواصل، ويذكر دليلاً آخر في كتاب آخر له بأنّ اللفظ قد يكون واحداً إلا أنّ استعماله يختلف وذلك في سـياق حديثه عن فعل الظنّ ففي قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (البقرة ٧٨) فهذا الفعل للشاكّ أمّا قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ (البقرة ٤٦) (فهذا يقين؛ لأنّهم لو لم يكونوا مستيقنين لكانوا ضـلالاً وشـكّاكاً في توحيد الله تعالى)[٣] فاللفظ واحد إلّا أنّه ذو معانٍ متعددة بحسـب الاسـتعمال مثلما سـيأتي في المهاد النظري، ومثلما سـيكون في تعدد استعمال حروف المعاني عند المبرّد، وهي ليست بغريبة عن التراث العربي فقد ورد عند (ابن يعيش) مثلاً في حديثه عن الحروف وتعدد معانيها (لأنّ اللفظ متّفقٌ، والمعنى مختلف متعدّدٌ)[٤] وذكر أيضاً في باب المخاطبة شيئاً يمسّ ذلك قال (وتقول إذا سألت رجلاً عن امرأة كيف تلكَ المرأة ؟ بفتح الكاف؛ لأنّها لمذكر فإن ســـألت امرأة عن امرأة قلت كيف تلكِ المرأة، بكســـر الكاف من أجل المخاطبة)[٥] فللخطاب والتواصـل أثر في تحديد اللفظ، والتركيز هنا يكون على القصدية والوظيفية في معاني الحروف، وهذه هي التي تحقق الخطاب والتواصل.

التمهيد: المبرّد وكتابه

عندما يشـــرع المرء في كتابة ترجمة لعلم كبير كالمبرّد لا بدّ أن يتمثل قول زهير بن أبي سلمى[٦]:

ما أرانا نقولُ إلّا مُعاراً ... أو مُعاداً من قولِنا مكروراً

فإنّ علماً مبرزاً ونحوياً من الطبقة الأولى قد أقيمت حوله الكثير من الدراســـات التي تتناول ابتداء ترجمته وهو ما كان، ولعلّ أفضـــل ترجمة كتبت له هي الترجمة التي أنشـــأها الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة في تحقيقه للكتاب الثاني في الأهمية والأصالة بعد (الكتاب) ألّا وهو (المقتضب) فقد استفاض في ذكر نسبه وأسرته وولادته ووفاته، والخلاف حول (راء المبرّد) ونشـاته وحياته وصـفاته وبراعته في الجدل والمناقشـة، وتوثيقه وشـعره وشـيوخه، والخصـــومة مع ثعلب، وتلامذة المبرّد، وغيرها من المباحث الأخرى[٧] وهي دراســـة غنية وافية، فضـــلاً عن كتبه الأخرى، وأهمها الكتاب موضـــوع البحث (الكامل) وقد اعتمدت على النسخة التي حققها (محمد أبو الفضل إبراهيم) ورجعت أحياناً إلى الطبعة التي حققها (الدكتور محمد أحمد الدالي) وغيرها من الدراســات التي تناولت حياة المبرّد ومع كثرة هذه الدراســات فلا بد لي من وقفة موجزة مع حياته.

المبحث الأول: اسمه ونسبه ولقبه

(محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حســان بن ســليم بن ســعد بن عبد الله بن يزيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلال بن عوف بن أسـلم – وهو ثُمالة – بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصـــر بن الأزْد بن الغوث)[٨] ويقول الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة محقق المقتضب[٩] إنّ ثمّة اختلافاً يسيراً في نسبه هذا في المصـــادر الأخرى، وقد ذكر هذا النســـب بنصّـــه أمّا لقب المبرّد (بضـــم الميم وفتح الباء الموحدة والراء المشـــددة وبعدها دال مهملة، وهو لقب عرف به، واختلف العلماء في ســـبب تلقيبه بذلك)[١٠] وذكر الدكتور رمضـــان عبد التوّاب وصـــلاح الدين الهادي محققا كتابه (المذكر والمؤنث) أسباب تلقيبه بهذا اللقب، ومنها أنّ المازنيّ لقّبه بذلك؛ لأنّه أجاب بأحسن جواب فقال له أنت المبرّد أي المثبت للحق، وقيل ســـببه أنّه دخل في المزملة التي يبرّد فيها الماء مختفياً فصار له لقباً، فضلاً عن الأسباب الأخرى[١١].

المبحث الثاني: مولده ونشأته ووفاته

تعددت الأقوال في ولادة المبرّد بين (٢١٠هـــ و٢٠٧هـــ و٢٠٨هـــ)[١٢] ونقل الشيخ عضـــيمة محقق (المقتضـــب) أنّ الراجح من أقوال المؤرخين أنّ ولادة المبرّد كانت ســـنة (٢١٠هـــ)[١٣] وقد نشأ بالبصرة، وكان له حضور علميّ فيها (وهو حديث السنِّ، متصدراً في

حلقة أبي عثمان المازنيّ يقرأ عليه كتاب سيبويه، وأبو عثمان في تلك الحلقة كأحد مَن فيها)[١٤] ثمّ طلبه الخليفة المتوكل إلى (سـرّ من رأى) وقرّبه إليه وأكرمه[١٥] وبعد مقتل المتوكل سـنة (٢٤٧هـ) رحل إلى بغداد، وكانت له مساجلات وخصومات مع ثعلب (٢٩١هـ) وتوفي على الأغلب سنة (٢٨٥هـ) وقيل غير ذلك[١٦].

المبحث الثالث: شيوخه وتلامذته ومصنفاته

أمّا شيوخه فهم كثر من أهمهم الجرميّ (٢٢٥هـ) والتوزيّ (٢٣٠هـ) والمازنيّ (٢٤٨هـ) وإبراهيم التيميّ قاضي البصرة (٢٥٠هـ) والجاحظ (٢٥٥هـ) وأبو حاتم السجستانيّ (٢٥٥هـ) والريّاشيّ (٢٥٧هـ) وغيرهم الكثير[١٧].

والأمر نفسه في تلامذته، فقد تلقّى عنه العلم كثيرون ذكرهم محقق كتاب (الكامل) من أشهرهم الزجّاج (٣١١هـ) والأخفش (٣١٥هـ) وابن السرّاج (٣١٦هـ) وابن كيسان (٢٢٩هـ) وابن ولاّد (٢٩٨هـ) وابن شقير (٣١٧هـ) وأبو بكر الصوليّ (٣٣٥هـ) ونفطويه (٣٢٣هـ) وابن درستويه (٣٤٧هـ) وغير هؤلاء الكثير الكثير ممن تلقى العلم على يديه[١٨]وقد ترك مجموعة من المصـنفات التي تدور في اللغة والنحو وفروع العربية لعلّ من أهمها كتابه النحوي (المقتضـب) للذي يمثل الكتاب الثاني من ناحية الأهمية بعد كتاب سـيبويه[١٩]ومن الكتب الأخرى (للفاضـل) وكتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد) وكتاب (التعازي والمراثي) وكتاب (البلاغة) و(رسـللة في أعجاز أبيات) وكتاب (القوافي) وكتاب (المذكر والمؤنث) و(كتاب نسـب قحطان وعدنان) وغير ذلك من الكتب، وهي كثيرة وإنّما ذكرت المطبوع منها كما أوردها محقق كتاب الكلمل موضـوع البحث[٢٠] واختم هذه الترجمة الموجزة عن حياة المبرّد بقول عالم اللغة العربية الكبير ابن جنّيّ (٣٩٢هـ) فقد وصف المبرّد بأنّه (يعدّ جبلاً في العلم، وإليه أفضت مقالات أصحابنا، وهو الذي نقلها وقررها، وأجرى الفروع والعلل والمقاييس عليها)[٢١].

المبحث الرابع: وصف موجز لكتابه الكامل

(الكامل في اللغة والأدب) هذا هو اسم الكتاب، وهو اسم على مسمى؛ فهو كتاب جامع لصنوف اللغة والأدب، ماتع في أسلوبه وطريقته؛ لذلك كتب له الذيوع والانتشار عبر مراحل التاريخ قديماً وحديثاً، ويكفي أنّ ابن خلدون قد جعله أصلاً من أصول الأدب قال (وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أنّ أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين، وهي أدب الكتاب لابن قتيبة وكتاب الكلمل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ والأمالي للقاليّ)[٢٢]هذا بعد أن ذكر تعريف الأدب عند العرب قال (حدّ هذا الفن قالوا الأدب هو حفظ أشـعار العرب وأخبارها،

والأخذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث)[٢٣].

وهذا الحد ينطبق إلى حد كبير على كتاب الكامل فهو يشتمل على هذه العلوم المتنوعة، وآية ذلك أنّ المبرّد نفسه أشار إلى هذه العلوم وطريقة تأليف الكتاب بقوله (هذا كتاب ألفناه يجمع ضروباً من الآداب ما بين كلام منثور وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة)[٢٤] واشتمال الكامل على هذه الأنواع المتعددة من اللغة والأدب لم يأتِ وفق ترتيب معيّن (فالظاهر أنّ هذه الأبواب لم توضع فيه على نسق أو نظام، ولم يستقل أي منها بفن واحد)[٢٥]وقد ذكر أنّ الغاية من تأليف هذا الكتاب فقال (والنيّة فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب، أو معنى مستغلق، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحاً وافياً)[٢٦]وقد وصف الشيخ عضيمة الكتاب بأنّه (صورة صادقة لما انطبع في نفس المبرّد من معارف، وما تثقف به من ثقافات لغوية ونحوية وأدبية)[٢٧]وقد وجدت عنده مسائل نحوية كثيرة، ومنها استعماله حروف المعاني استعمالاً متعدداً، وهو ما كان في هذا البحث .

المهاد النظري

المبحث الأول: حروف المعاني

لحروف المعاني أهمية كبيرة عند النحويين، وقد أشار إليها سيبويه الذي ذكر وظيفتها بعد الاسم والفعل، قال في (باب علم الكلم من العربية فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل)[٢٨] ثمّ ذكر معاني بعض هذه الحروف قال (وهل وهي للاستفهام، ولم وهي نفي لقوله فعل، ولن وهي نفي لقوله سيفعل)[٢٩] وهو على ذلك كـ(الأداة الّتي تسمّى الرابطة؛ لأنّها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل كعن وعلى ونحوهما)[٣٠]وهناك من النحويين من اعتنى بها عناية فائقة فألّف فيها مؤلفات خاصّة، وهي كثيرة منها حروف المعاني للزجّاجيّ (٣٣٧هـ) ومنازل الحروف للرمانيّ (٣٨٤هـ) ورصف المباني للمالقيّ (٧٠٢هـ) والجنى الداني للمراديّ (٧٤٩هـ) الذي قال في مقدمته (وبعد فإنّه لمّا كانت مقاصد كلام العرب على اختلاف صنوفه مبنياً أكثرها على معاني حروفه فعزت على الأذهان معانيها وأبت الإذعان إلّا لمن يعانيها)[٣١]وكذلك كتاب (مغني اللبيب) لابن هشام الأنصاريّ (٧٦١هـ) وكتاب ابن هشام هذا خصص أكثر من نصفه للحروف ومعانيها مرتبة على حروف المعجم مبتدئاً بالهمزة.

المبحث الثاني: الحرف لغة

(والحرف في الأصل الطّرف والجانب، وبه سمّي الحرف من حروف الهجاء)[٣٢] و(حرف كل شيءٍ طرفه وشفيره وحده، ومنه حرف الجبل وهو أعلاه المحدّد)[٣٣]ومنه قوله

تعالى:﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ (الحج ١١) أي طرف وجانب من الدين (هذا المنافق إن صلحت له دنياه أقام على العبادة، وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب)[٣٤] .

المبحث الثالث: حروف المعاني في الاصطلاح

الحرف على نوعين في لغة العرب حرف مبنى، وهو الوارد في مصطلح الصوت في الدراسات الصوتية بقولهم (اعلم أنّ الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلاً متصلاً حتّى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها)[٣٥] وهو وإن كان مصطلحاً قديماً لكنّه يختلف عمّا نحن بصدده، والنوع الثاني حرف المعنى، وهو القسيم الثالث للألفاظ عند النحويين، وعندهم أنّه لا يحتاج إلى حد لانحصاره في ألفاظ معلومة[٣٦] وقال قسم إنّه لا بدّ له من حدّ، ولعلّ أحسن ما قيل في حدّه إنّه (كلّ كلمة لا تدل على معنى في نفسها لكن في غيرها)[٣٧].

أمّا من ناحية التقسيم فهناك تقسيمات عديدة لحروف المعاني فقد يقسم على (مختص بالاسم، ومختص بالفعل، ومشترك بين الاسم والفعل)[٣٨] وقسمها بعضهم على (ثلاثة أقسام قسم عامل لا غير، وقسم غير عامل لا غير، وقسم جائز أن يكون عاملاً وغير عامل)[٣٩] ورتّبها بعضهم على حروف المعجم كما فعل ابن هشام قال (وقد رتبتها على حروف المعجم ليسهل تناولها)[٤٠] ويمكن تقسيمها على المفردة والمركبة (وهي منحصرة في خمسة أقسام؛ أحادي وثنائي وثلاثي ورباعي وخماسي)[٤١] وقد أخذنا بهذا التقسيم في الجانب التطبيقي للبحث؛ لأنّه الأسهل بحسب ما نظنّ، والله أعلم.

الجانب التطبيقي في الكامل

تعامل المبرّد مع استعمالات حروف المعاني في (الكامل) وفقاً للسياق المناسب لها، وقد صرّح المبرّد بطريقة الاستعمال قال (وحروف الخفض يبدل بعضها من بعض إذا وقع الحرفان في معنى في بعض المواضع)[٤٢] في سياق حديثه عن معاني حرف الخفض (في) بين الوضع في لسان العرب، والاستعمال بحسب المناسبة والسياق (إذ حروف الجر قد يسدّ بعضها مسدّ بعض)[٤٣] وهذا الجانب يتوفر على أربعة مباحث بحسب تقسيم الحروف أحادية وثنائية وثلاثية ورباعية.

المبحث الأول: الحروف الأحادية

١-الهمزة

وقد ابتدأ بها ابن هشام وسمّاها الألف، وذكر لها معنيين رئيسين النداء والاستفهام[٤٤] فضلاً عن الكثير من الأحكام والمعاني الفرعية للاستفهام كالتسوية والإنكار والتهكّم وغيره[٤٥] وقد وردت في (الكامل) بشواهد عدّة، واستعملها المبرّد وفقاً للسياق والمناسبة الواردة فيه، منها قول عمر بن أبي ربيعة: **ثمّ قالوا تحبها قلتُ بهراً**[٤٦] وتردد هذا الشاهد بين الاستفهام والإيجاب والاستفهام هنا على نية الحذف، وقد خطّأ المبرّد من يقول بالاستفهام (قوله تحبها إيجاب عليه غير استفهامٍ إنّما قالوا أنت تحبها أي قد علمنا ذاك فهذا معنى صحيحٌ لا ضرورة فيه)[٤٧] واستعمال الهمزة محذوفة ورد عنده في قول عمر بن أبي ربيعة[٤٨]:

لعمرُكَ ما أدري وإنْ كنتُ دارياً ... بسبعٍ رمينَ الجمرَ أمْ بثمانِ

فقد قال (يريد أبسبعٍ)[٤٩] ثمّ ذكر معاني أخرى للهمزة بحسب الاستعمال في قول لعبد الله بن معاوية يعاتب صديقه[٥٠]:

أأنتَ أخي ما لمْ تكنْ حاجةً ... فإنْ عرضتَ أيقنتُ أنْ لا أخاً ليا

قال المبرّد في معنى الهمزة (تقرير وليس باستفهام، ولكن معناه أنّي قد بلوتك تظهر الإخاء فإذا بدت الحاجة لم أرَ من إخائك شيئاً)[٥١] فليس القصد الاستفهام عن الأخوة في قوله لَلُنت أخي إنّما الانتقال إلى معنى آخر وهو التقرير، ولأنّه يدّعي الأخوة فإذا ظهرت الحاجة تبين خلاف ذلك، ثمّ ذكر معنى آخر للاستفهام في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (المائدة ١١٦) (إنّما هو توبيخ وليس باستفهام وهو عزّ وجلّ العالم بأنّ عيسى لم يقله)[٥٢] (ولكن أريد إعلان كذب من كفر من النّصارى... والمعنى أنّه إن لم يكن هو قائل ذلك فلا عذر لمن قاله؛ لأنّهم زعموا أنّهم يتّبعون أقوال عيسى وتعاليمه)[٥٣] وقد أحال المبرّد انتقال الاستفهام واستعماله إلى التقرير بحسب الاستعمال على المقتضب[٥٤].

٢-الباء

حرف أحادي ذكر له ابن هشام أربعة عشر معنى، وأولها وأهمها الإلصاق[٥٥] والمعنى (الرابع عشر التوكيد وهي الزائدة وزيادتها في ستة مواضع ... والرابع الخبر وهو ضربان غير موجب فينقاس نحو ليسَ زيدُ بقائمٍ)[٥٦] وقد ورد هذا المعنى عند المبرّد في معرض الاستدلال على الحكم النحوي نظراً إلى المحل لا إلى اللفظ (ومثل هذا لستُ بقائمٍ ولا قاعداً، والباء زائدةٌ لأنّ المعنى لستُ قائماً ولا قاعداً)[٥٧] فالباء هنا تفيد التوكيد، وقد سمّاها الزائدة، وهي تشبه إلى حد ما قصة المتفلسف الكندي مع أبي العبّاس[٥٨] في أنّ المناسبة والسياق هي من تحدد استعمال حروف المعاني.

٣-الواو

وهي من الحروف الأحادية المهمة، ولها معانٍ كثيرة تصـــل إلى ثمانية أقســـام أهمها العطف، وهذا أصـــل أقســـامها وأكثرها، وتســـمى أم باب حروف العطف لكثرة ورودها فيه[٥٩] وتكون للحال (ومعنى ذلك أن تجيء بعدها جملة تكون في موضـــع الحال)[٦٠] وبمعنى (رُبَّ) وللقسم تعويضاً من الباء وللمعية[٦١] وغيرها من المعاني.

الاســتعمال اللغوي للواو عند المبرّد في (الكامل) ورد بصــورة واضــحة، وتردد بين العطف والمعية والقسم والحال فمن العطف والذي يراد منه الاشتراك قول الفرزدق[٦٢]:

على ضوءِ نارٍ مرةً ودخانِ

(يكون على وجهين أحدهما على ضـــوء نار وعلى دخان أي على هاتين الحالتين ارتفعت للنار أو خبت، وجائز أن يعطف للدخان على النار، وإن لم يكن للدخان ضـــياء)[٦٣] وحمل على ذلك قوله تعالى:﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ (الرحمن ٣٥) قال:(والشـــواظ اللهب لا دخان له، والنحاس الدخان، وهو معطوف على النار)[٦٤] فالواو تفيد العطف في لســـان العرب إلّا أنّه لا يمكن ذلك هنا؛ فلجأ إلى تعدد الاســـتعمال اللغوي؛ لأنّه لا يمكن أن يكون للدخان ضـــياء بل المعنى هنا هو الاشـــتراك، وقد اســـتدل المبرّد ببيت آخر هو قول الشاعر[٦٥]:

يا ليتَ زوجَك قدْ غدا ... متقلداً سيفاً ورمحاً

فالمعنى هنا أنّه يحمل رمحاً[٦٦] لأنّ الرمح لا يتقلد، وإنّما يحمل فقد حمله ههنا على المعنى، ولم يحمله على اللفظ[٦٧] ومن المعيّة (قولك ما زلتُ وعبدَ اللهِ حتّى فعل لأنّه ليس يريد ما زلتُ ومازالَ عبدُ اللهِ، ولكنّه أراد وما زلتُ بعبدِ اللهِ فكان المفعول مخفوضـاً بالياء فلما زال ما خفضـه وصـل الفعل إليه فنصـبه فالواو في معنى مع)[٦٨] فاستعمل الواو هنا استعمالاً ثانياً بمعنى المعيّة، ولم يقصـــد المتكلم للدلالة الظاهرة، ولآية ذلك قوله (ليس يريد ... ولكنّه أراد) وهي من الألفاظ للدلالة على تعدد الاســـتعمال؛ لأنّه عندما يذكر مثل هذه الألفاظ فهو يريد الانتقال من الصفة الموضوعة في لسان العرب إلى الصفة الاستعمالية؛ ولأنّ الأصل في الواو العطف، وهو غير المعنى المراد، بل المراد المعيّة لمّا للدلالة على الحالية فقول كعب بن جعيل[٦٩]:

أرى الشأمَ تكرهُ ملكَ العراقِ ... وأهلُ العراقِ لهم كارهينا

فعنده روايتان نصب (أهل) لتعلقها بـــــ(أرى) فتكون عاطفة، والرواية الثانية (وأهلُ العراق لهم كارهونا) بالرفع على (أن تكون الواو وما بعدها حالاً؛ فيكون معناها إذ كما تقول

رأيت زيداً قائماً وعمروٌ منطلقٌ تريد إذ عمْرو منطلقٌ)[٧٠]فإذا جعل الواو حالية فعلى معنى إذ أي في حال كون أهل العراق لهم كارهينا، وجعل مثل ذلك قوله تعالى:﴿ يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ (آل عمران ١٥٤) .

وأوردها بمعنى (رُبَّ) في قول الفرزدق[٧١]:

وأطلسَ عسالٍ وما كانَ صاحباً رفعتُ لِناري مَوهناً فأتاني

وأطلسَ مخفوض (بهذه الواو؛ لأنّها في معنى رُبَّ، وإنّما جاز أن يخفض بها؛ لوقوعها في معنى رُبّ لأنّها حرف خفض)[٧٢]والمعنى على رأيه (رُبَّ اطلسَ) وفي الصفحة نفسها ينتقل إلى دلالة الواو على القسم قال (وهي أعني الواو تكون بدلاً من الباء في القسم؛ لأنّ مخرجها في مخرج الباء من الشفة فإذا قلت واللهِ لأفعلنّ فمعناه أقسم باللهِ لأفعلنّ فإن حذفتها قلت اللهِ لأفعلنّ؛ لأنّ الفعل يقع على الاسم فينصبه، والمعنى معنى الباء)[٧٣].

٤-اللام

وقد ألّف الزجّاجيّ كتاباً كاملاً في اللامات قال في مقدمته (هذا كتاب مختصر في ذكر اللامات ومواقعها في كلام العرب، وكتاب الله عز وجل ومعانيها وتصرفها)[٧٤]وأنواع اللامات ومعانيها كثيرة فقد قسّمها ابن هشام (ثلاثة أقسام عاملة للجر، وعاملة للجزم، وغير عاملة، وليس في القسمة أن تكون عاملة للنصب خلافًا للكوفيين)[٧٥]وقد وضع المبرّد للام باباً سماه (باب اللام التي للاستغاثة والتي للإضافة)[٧٦]وقد فرّق بينهما بالفتح والكسر أمّا المعاني الأخرى فقد أورد المبرّد قول الشاعر[٧٧]:

وما هيَ إلا رقدةٌ تُورثُ العُلى ... لرهطِك ما حَنّت روائمُ نِيبِ

(فالمعنى تورث العلا رهطك، وهذه اللام تزاد في المفعول على معنى زيادتها في الإضافة، تقول هذا ضاربٌ زيداً، وهذا ضاربٌ لزيدٍ)[٧٨] وهذه اللام هي (اللام التي تكون موصلة لبعض الأفعال إلى مفعوليها، وقد يجوز حذفها، وذلك قولك نصحتُ زيداً، ونصحتُ لزيدٍ، والمعنى واحد)[٧٩]وجعل المبرّد منه قوله تعالى:﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (الزمر١٢) و﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (يوسف ٤٣) و﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (النمل ٧٢) وخالفه ابن هشام قال (وليس منه ردف لكم خلافًا للمبرّد ومن وافقه بل ضمن ردف معنى اقترب)[٨٠]وهو يشبه قوله تعالى:﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾

(الأنبياء ١) وهو خلاف واضح بينهما؛ فالمبرّد صرّح بزيادتها كما هو بيّن في النصوص المنقولة، أمّا ابن هشام فقد جعلها ضمن النوع الحادي والعشرين وهو الدال على التوكيد ووصفها بالزائدة[٨١] هذه الزيادة الدالّة على التوكيد لا سيّما في نصوص الكتاب الكريم وقد استعمل المبرّد اللام استعمالاً متعدداً بحسب المعاني في مواضع أخرى من كتابه، فاستعملها للتعليل في قول الشاعر[٨٢]:

حدثتَ نفسَك بالوفاءِ ولمْ تكنْ ... للغدرِ خائنةً مغلَّ الإصبعِ

(وقوله للغدرِ أي من أجل الغدر، وقال المفسرون والنحويون في قول الله عز وجل:﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٞ﴾ (العاديات ٨) أي لشديدٌ من أجل حبّ الخير)[٨٣] واستعمل اللام أيضاً لمعان أخرى كالملك والتعيين والتقوية وغيرها.

المبحث الثاني: الحروف الثنائية

١- إنْ

حرف يأتي لأنواع عديدة منها (أَن تكون نافية وتدخل على الجملة الاسمية)[٨٤] وقد مثّل له بقوله تعالى:﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ﴾ (النساء ١٥٩) وهو عين ما ذكره المبرّد في هذه الآية قال (أي وإن أحد ومعنى إن معنى ما)[٨٥] (والمعنى وما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبأنّه عبد الله ورسوله)[٨٦] فالمعنى هنا النفي فأنواع (إنْ) كثيرة لفظاً لكن معناها يحدده الاستعمال، وذكر معنى آخر لـ(إن) وهي الزائدة التي تأتي للتوكيد[٨٧] وذلك في قول الشاعر[٨٨]:

وصبري عمّنْ كنتُ ما إنْ أزايلهُ

٢- أو

قال ابن هشام:(حرف عطف ذكر له المتأخّرون معاني انتهت إلى اثني عشر الأول الشّك نحو:)[٨٩] ﴿ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ (الكهف ١٩) وقد ذكر المبرّد هذا الحرف لفظاً لكنّه ذكر معناه من خلال الاستعمال، وذلك (أنّ صفيّة بنت عبد المطلب أتاها رجل، فقال لها: أين الزبير؟...أريد أن أباطشه!...فصار إلى الزبير فباطشه فغلبه الزبير، فمرّ بها مفلولاً فقالت صفيّة[٩٠]:

كيفَ رأيتَ زبراً

أأقطاً أو تمراً

أم قرشيّاً صقراً

لم تشـــكك بين الأقط والتمر فتقول أيّها ما هو؟ ولكنّها أرادت أرأيته طعاماً أم قرشـــياً صـقراً؟ أي أحد هذين رأيته أم صـقراً؟)[٩١] فليس معنى (أو) هو الشـك وإنّما التخيير بين هذين والصقر القرشيّ بل والأحسن هو التعيين بأنّ (ابن الزبير) صقر قرشيّ لا يبارى، وهذا المعنى مذكور بمعناه عند سـيبويه قال (وذلك أنّها لم ترد أن تجعل التمر عديلاً للأقط؛ لأنّ المسـؤول عندها لم يكن عندها ممن قال هو إمّا تمر وإمّا أقطٌ وإمّا قرشـــيٌ، ولكنّها قالت أهو طعام أم قرشيّ فكأنّها قالت أشيئاً من هذين الشيئين رأيته أم قرشياً)[٩٢].

٣- في

ـقال المالقيّ (اعلم أنّ في حرف جار لما بعده، ومعنلها الوعاء حقيقة أو مجازاً)[٩٣] وقد عبّر عن الظرفية ـبالوعاء، وهو أشـــهر معانيها، ولكنّها تخرج إلى معان أخرى بحســـب الاستعمال، وهو ما وقع عند المبرّد في الكتاب موضـع البحث قال (إذا وقع الحرفان في معنى في بعض المواضـــع قال الله جل ذكره: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ (طه ٧١) أي على، ولكنّ الجذوع إذا لحاطت دخلت في لأنّها للوعاء يقال فلان في النخل أي قد لحاطـبه)[٩٤] وهذا التفسـير الخارج عن معنى (في) الأشـهر ورد عند كثير من المفسـرين[٩٥] فيما يرى السـمين الحلبيّ أنّه (يحتمل أن يكون حقيقة، وفي التفسـير أنّه نقّر جذوع النخل حتّى جوّفها ووضـعهم فيها؛ فماتوا جوعاً وعطشـــاً، وأن يكون مجازاً)[٩٦] وذكر للحرف (في) اســـتعمالاً آخر منها اســـتعماله بمعنى على[٩٧] كقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴾ (الطور ٣٨) (السـلّم لا يستمع فيه، وإنّما يستمع عليه فما الجواب؟ نقول من وجهين؛ أحدهما ما ذكره الزّمخشريّ أنّ المراد يستمعون صاعدين فيه؛ وثانيهما ما ذكره الواحديّ أنّ في بمعنى على)[٩٨].

٤- لا

من الحروف التي تشمل مساحة واسعة من لسان العرب، وأقسامها كثيرة جداً عقد لها ابن هشام[٩٩] باباً كبيراً من كتابه، إلّا أنّ الزجّاجيّ قد اختصر أنواعها بقوله (لها أربعة مواضع تكون جحداً وعطفاً ونهياً وحشـــواً وصـــلة)[١٠٠] ومن أنواعها ما يتردد بين النهي وللدعاء، كالوارد في قول الفرزدق[١٠١]:

إِذا مَا خرجنَا من دمشقَ فَلَا نعد ... لَهَا أبداً مَا دَامَ فِيهَا الجراضمُ

ومثل هذا ورد عند المبرّد في تعليقه على قول عبد الله بن رواحة الأنصاريّ[١٠٢]:

إذا بلغتني وحملتَ رحلي ... مسيرةَ أربعٍ بعدَ الحساءِ

فشأنُك فانعمي وخلاكِ ذمٌ ... ولا أرجعْ إلى أهلي ورائِي

قال المبرّد (وقوله ولا أرجع إلى أهلي ورائي مجزوم؛ لأنّه دعاء فقوله (لا) يعني الجازمة ومعناه اللّهم لا أرجع، كما تقول زيدٌ لا تغفر له، فهذا للدعاء ينجزم بما ينجزم به الأمر والنهي)[١٠٣]فهو وارد بصيغة النهي لكنّه لما كان الكلام موجهاً من المتكلم لنفسه خرّجه مخرج الدعاء؛ لأنّه لا يمكن أن ينهى المرء نفسه بهذه الصيغة، ولولا الجزم الظاهر في الفعل لكان نفياً.

٥- لو

حرف يمثل الاستعمال المتعدد خير تمثيل؛ لأنّه يأتي على معان متعددة بحسب السياق والمناسبة، وقد فصّل فيه المالقي، وذكر أنّها تكون على أربعة مواضع[١٠٤]فقد تكون حرف امتناع لامتناع كقوله تعالى:﴿وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾ (الفتح ٢٢) ويشمل ذلك النفي أيضاً أمّا الموضع الثاني فـــ(أن تكون حرف شرط بمنزلة إنْ إلّا أنّها لا يجزم بها)[١٠٥] كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ (يوسف ١٧) والموضع الثالث للتمني مثل (ليت) معنى لا لفظاً[١٠٦]كقوله تعالى:﴿فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (الشعراء ١٠٢) أمّا الموضع الرابع فتكون حرف تقليل بمعنى رُبَّ[١٠٧]كقوله عليه الصلاة والسلام **(ردُّوا السائل وَلَوْ بظلْف مُحْرَق)**[١٠٨]فهذه المعاني لا تكون مجتمعة بل بحسب الاستعمال، وقد وردت في قول الشاعَرَ[١٠٩]:

قومٌ إذا حاربُوا شدّوا مآزرَهُم ... دونَ النّساء ولَوْ باتَتْ بأطْهارِ

قال المبرّد (معناه أنّه يجتنبها في طهرها، وهو الوقت الذي يستقيم له غشيانها فيه)[١١٠] أي أنّ (لو) هنا جاءت بمعنى (إنْ) الشرطية، ولكنّها لا تعمل عملها (وإنّما منع لو أن تكون من حروف المجازاة فتجزم كما تجزم إنْ أنّ حروف المجازاة إنّما تقع لما لم يقع، ويصير الماضي معها في معنى المستقبل تقول إن جئتني أعطيتُك ... ولو تقع في معنى الماضي)[١١١] وقد أشار ابن هشام إلى هذا المعنى في بيت الأخطل قال (يتعين فيه معنى إنْ لأنّه خبر عن أمر مستقبل محتمل أمّا استقباله؛ فلأن جوابه محذوف دلّ عليه شدّوا، وشدّوا مستقبل لأنّه جواب إذا... ولأنّ المقصود تحقق ثبوت الطّهر لا امتناعه)[١١٢] فمن بين المعاني الأربع التي تحتملها (لو) ذكر المبرّد أنّ معناها في بيت الأخطل هو (إنْ) الشرطية فهي التي المناسبة في هذا المقام .

المبحث الثالث: الحروف الثلاثية

١- على

نقل المرادي[١١٣] عن ابن مالك أنّ لـــ(على) الحرفية ثمانية معانٍ أولها الاستعلاء سواء أكان حســـياً كقوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن ٢٦) أو معنوياً كقوله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (الإسراء ٢١) لكنّه أردف يقول (ولم يُثبت لها أكثر البصريين غير هذا المعنى وتأولوا ما أوهم خلافه)[١١٤] ولعلّ الصحيح تعدد معانيها بحسب الاستعمال؛ فقد اثبت لها ابن هشام[١١٥] تسعة معانٍ بادئاً بالاستعلاء الحسيّ والمعنويّ، ومنتهياً بالاستدراك، وقد وردت ببعض هذه المعاني عند المبرّد مستعملاً إياها بحسب الجملة والمناسبة، ومنه قراءة ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ (النجم ١٢) فإنّ (على) هنا بمعنى (عن) في الاســـتعمال[١١٦] والاختلاف في القراءة واقع في (أَفَتُمَارُونَه) (فحمزة والكسائيّ ويعقوب وخلف بفتح التاء وسكون الميم بلا ألف من مريته إذا علمته وجحدته، وعدّي بعلى لتضمنه معنى الغلبة، والباقون بضم التاء وفتح الميم وألف بعدها من ما راه يماريه مراء جادله)[١١٧] وقد أنشـد بيتاً للاسـتدلال على اسـتعمال (على) بمعنى (عن) هو قول الشاعر[١١٨]:

إذا رضيتْ عليّ بنو قشيرٍ ... لعمرُ اللهِ أعجبني رضاهَا

لأنّ رضي يتعدى بـــ(عن) وهو الوارد في آي التنزيل الحكيم كقوله تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ (البينة ٨).

٢- كأنْ

وهي حرف تشبيه من ضمن (الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده... وهي أنّ ولكنّ وليت ولعلّ وكأنّ)[١١٩] وتأتي على أصـلها رباعية وضـعاً، وتأتي ثلاثية اســـتعمالاً وهي المخففة، وفي أعمالها ثلاثة أقوال؛ المنع وهو رأي الكوفيين؛ والجواز مطلقاً؛ والثالث الجواز مع المضـمر لا البارز[١٢٠] وهذه المخففة هي التي أشـار إليها المبرّد من خلال قول الشاعر[١٢١]:

ويوماً توافَينا بوجهٍ مقسمٍ ... كأنْ ظبية تعطو إلى وارقِ السلمِ

(والوجه المقسم المحسن والقسام الحسن، تعطو تمد يدها إلى أغصان الشجر فتميلها وتأكل منها، والسلم شجر معروف، ووارقه الذي فيه ورق يريد إنّه يستمتع بحسنها يوماً وتشـــغله يوماً آخر بطلب ـمالله،ـفإن منعها آنته وكلمته بكلام منعه من الروم)[١٢٢] والبيت من شـواهد سـيبويه، وقد نسـبه لابن صـريم اليشـكري[١٢٣] ونسـبه غيره إلى علباء بن أرقم بن عوف[١٢٤] وقد تناوله ضمن جانب التعدد الإعرابي لهذا الحرف من خلال تخفيف (كأنّ) فيحتمل

ما بعده وهو (ظبية) الرفع والنصب والجر (أمّا رفعها فعلى الضمير... ومن نصب فعلى غير ضـــمير وأعملها مخففة عملها مثقلة... ومن قال كأن ظبيةٍ جعل أن زائدة وأعمل الكاف أراد كظبيةٍ)[١٢٥] وهو هنا وإن أشار إليه ضمن التعدد الإعرابي إلاّ أنّه يستتبع بالضرورة الاختلاف في المعاني بحســب التعدد الإعرابي فعلى وجه الرفع تكون (ظبية) خبراً على إضــمار اســم كأن[١٢٦] والمعنى هنا التشـــبيه على تقدير كان الأمر أو الشـــأن (ظبية) لأنّ (كأن) عاملة وإن كانت مخففة، وجعل الفعل تعطو صفة لـــــــ(ظبية)[١٢٧] أمّا على وجه النصب مباشرة فيكون (بِنصب الظبية على أنّه اسم كأن، والجملة بعدها صفة لها، والخبر محذوف والتقدير كأَن ظبية عاطية هذه المرأة)[١٢٨] والمعنى هنا يكون شـــكّاً؛ لأنّ الخبر إن كان مشـــتقاً من الفعل فهي للشك[١٢٩] أمّا على وجه الجر (ويروى بالجر لظبية على أنّ الأصل كظبية، وزيد أن بينهما أي بين الكاف ومجرورها، وعليهن فجملة تعطو صفة لـــــــظبية)[١٣٠] وهو هنا أنّه يصف امرأة حسنة الوجه وشبهها بالظبية، والمعنى مختلف عمّا سبق، فهذه معان مختلفة بحسب التغير الإعرابي للبيت الشعري .

المبحث الرابع: الحروف الرباعية

١- لعلّ

هي من الحروف التي عبّر عنها سيبويه بأنّها من باب الحروف الخمسة التي تعمل عمل الفعل (وهي أنّ، ولكنّ، وليت، ولعلّ، وكأنّ)[١٣١] والقصد أنّها تقع على الأسماء؛ فتقوم بالنصب والرفع، أمّا معنى (لعلّ) فقد اثبت لها ابن هشام ثلاثة معانٍ الأول (التوقع وهو ترجّي المحبوب، والإشفاق من المكروه)[١٣٢] وهو الأصل، وذكر لها معنيين أخرين هما التعليل كقوله تعالى:﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ (طه٤٤) والاستفهام كقوله تعالى:[١٣٣] ﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾ (الطلاق١) وقد ورد معنى الحرف (لعلّ) عند المبرّد، وقد استعمله لغير معنى في قول الشاعر[١٣٤]:

فقالتْ بعيشكَ! قولي لهُ ... تمتّع لعلّك أنْ تنفقا

(قوله لعلك أن تنفقا اضـــطرار، وحقّه لعلّك تنفق لأنّ لعلّ من أخوات إنّ فأجريت مجراها، ومن أتى بأن فلمضارعتها عسى)[١٣٥] يرى المبرّد هنا أنّ الشاعر قد استعمل (لعلّ) استعمالاً متعدداً بمساواتها بـــــــ(عسى) لفظاً ومعنى، فأمّا في اللفظ ففي كون خبرها فعلاً مضـــارعاً مقترناً بأن في الغالب[١٣٦] وأمّا من جهة المعنى فإنّ (لعلّ) تفيد الرجاء وكذلك (عسى).

٢- لولا

وهي من الحروف المركبة أصلها (لو) الثنائية، وزيدت عليها (لا) فصارت (لولا) وهي (تدخل على جملتين اسمية ففعلية؛ لربط امتناع للثّانية بوجود الأولى نحو لولا زيدٌ لأكرمتُك أَي لولا زيدٌ موجودٌ)[١٣٧] وهذا المعنى هو أحد أربعة معانٍ لها فالمعاني الأخرى هي (التحضيض والعرض) و(التوبيخ والتنديم) و(الاستفهام)[١٣٨] وتعدد المعاني يكون بحسب الجملة والسياق، وقد ذكر المبرّد الحرف المركب (لولا) وقد استعمله استعمالاً متعدداً (مركباً) أيضاً إذا جاز التعبير، وسرّ تركيبه أنّ الحرف (لولا) يستخدم في أصل وضعه استخداماً متعدداً كاستخدامه للتوبيخ والتنديم كما مرّ عند ابن هشام، وقد يحلّ محلّ حرف آخر في الاستخدام لتحقيق معنى هذا الحرف وهو الوارد هنا عند المبرّد بعد أن ذكر أنّ معناها امتناع الفعل لوجود غيره قال (ولها موضع آخر تكون فيه على غير هذا المعنى، وهي لولا التي تقع في معنى هلاّ للتحضيض، ومن ذلك قوله: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ (النور١٢) أي (هلاّ) وقال الله عزّ وجلّ: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾ (المائدة ٦٣) فهذه لا يليها إلّا الفعل؛ لأنّها للأمر والتحضيض)[١٣٩] فقد استخدمت (لولا) الامتناعية هنا بمعنى التحضيض للذي تؤديه عادة (هلاّ) وهو معنى من المعاني للذي يحقق فعلاً إنجازياً، وهو الحثّ بقوة لفعل الشيء، والدليل على ذلك أنّ الفعلين (سمعتموه) و(ينهاهم) في النصّين الكريمين قد وليا الحرف (لولا) والأصل أن يليها الاسم[١٤٠] فلمّا كان ذلك كذلك دلّت على خروجها إلى التحضيض، وهو معنى من المعاني التي يتحقق فيها الفعل الإنجازي.

الخاتمة والنتائج

- (الكامل في اللغة والأدب) كتاب جامع لصنوف اللغة والأدب، ماتع في أسلوبه وطريقته.
- الكتاب يشتمل على مسائل نحوية كثيرة، ومنها استعمال حروف المعاني، لكنّ الظاهرة عنده أنّه يستعملها استعمالاً متعدداً في كثير من الأحيان.
- تعامل المبرّد مع استعمالات حروف المعاني في (الكامل) وفقاً للسياق المناسب لها.
- ظهر الاستعمال، والاستعمال المتعدد عنده بحسب الحروف أحادية وثنائية وثلاثية ورباعية.
- في الحروف الأحادية ظهرت عنده الهمزة بمعنيي النداء والاستفهام، والباء بمعنى التوكيد، وترددت الواو بين العطف والمعية والقسم والحال، واستعمل اللام للتعليل والملك والتعيين والتقوية.
- في الحروف الثنائية ظهرت عنده (إنْ) بمعنيي النفي والزائدة للتوكيد، و(أو) بين الشك والتخيير، و(في) بمعنى الظرفية وسماه الوعاء ومعنى الاستعلاء، أمّا (لا) فمترددة بين النهي والدعاء، ثمّ (لو) فجاءت بمعنى (إنْ) الشرطية.
- في الحروف الثلاثية جاءت (على) بمعنى (عن) وظهرت (كأن) التي تفيد التشبيه والشك.
- في الحروف الرباعية ظهرت (لعلّ) تفيد الرجاء، أمّا (لولا) فقد استعملها حرف امتناع لوجود وبمعنى التحضيض.

الهوامش والمصادر:

(١) ينظر الكتاب، سيبويه (١٨٠هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة القاهرة مصر، مكتبة الخانجي (١٤٠٨هـ=١٩٨٨م):٧٣/١

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجانيّ (٤٧١هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر، الطبعة الثالثة، القاهرة مصر، مطبعة المدني، جدة السعودية، دار المدني (١٤١٣هـ=١٩٩٢م):٣١٥/١

(٣) ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، أبو العبّاس المبرّد (٢٨٥هـ) تحقيق: الدكتور أحمد محمد سليمان، الطبعة الأولى، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (١٤٠٩هـ=١٩٨٨م):٥٣

(٤) شرح المفصّل للزمخشريّ، أبو البقاء ابن يعيش (٦٤٣هـ) الطبعة الأولى، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية (١٤٢٢هـ=٢٠٠١م):٩١/٥

(٥) المقتضب أبو العبّاس المبرّد (٢٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة مصر، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي (١٤١٥هـ=١٩٩٤م):٢٧٥/٣

(٦) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨هـ) الطبعة الأولى، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية (١٤٠٤هـ):١٨٦/٦

ينظر المقتضب:١١/١ فما بعدها (٧)

(٨) طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر الزُبيديّ (٣٧٩هـ) تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف:١٠١

ينظر المقتضب:١١/١ (٩)

(١٠) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلّكان (٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، دار صادر، الجزء:٤ (١٩٧١م):٣٢١/٤

(١١) ينظر المذكر والمؤنث، أبو العبّاس المبرّد (٢٨٥هـ) تحقيق: الدكتور رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، الجمهورية العربية المتحدة، مطبعة دار الكتب، وزارة الثقافة مركز تحقيق التراث (١٩٧٠م):١١

ينظر وفيان الأعيان:٣١٩/٤ (١٢)

ينظر المقتضب:١٢/١ (١٣)

طبقات النحويين واللغويين:١٠١ (١٤)

ينظر طبقات النحويين واللغويين:١٠٢ فما بعدها (١٥)

ينظر المقتضب:١٢/١ (١٦)

(١٧) ينظر الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرّد (٢٨٥هـ) تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، القاهرة مصر، دار الفكر العربي (١٤١٧هـ=١٩٩٧م):٦/١ فما بعدها

ينظر الكامل:١٠/١ فما بعدها. (١٨)

ينظر المقتضب:٨/١ (١٩)

ينظر الكامل:١٤/١ فما بعدها. (٢٠)

(٢١) سر صناعة الإعراب، ابن جنّيّ (٣٩٢هـ) الطبعة الأولى، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية (١٤٢١هـ=٢٠٠٠م):١٤٠/١

(٢٢) مقدمة ابن خلدون (٨٠٨هـ) بيروت لبنان، دار القلم (١٩٨٤م):٥٥٣
مقدمة ابن خلدون:٥٥٣ (٢٣)
الكامل:١/١-٢ (٢٤)
الكامل:١٨/١ (٢٥)
الكامل:٢/١ (٢٦)
المقتضب:٥٨/١ (٢٧)
(٢٨) الكتاب:١٢/١
(٢٩) الكتاب:٢٢٠/٤
(٣٠) لسان العرب، ابن منظور (٧١١هـ) الطبعة الأولى، بيروت لبنان، دار صادر (ح ر ف)
(٣١) الجنى الداني في حروف المعاني، المراديّ (٧٤٩هـ) تحقيق: د. فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية (١٤١٣هـ=١٩٩٢م):١٩
لسان العرب (ح ر ف) (٣٢)
لسان العرب (ح ر ف) (٣٣)
(٣٤) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبريّ (٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة (١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م):٥٧٧/١٨
سر صناعة الإعراب ابن جنيّ:١٩/١ (٣٥)
ينظر الجنى الداني في حروف المعاني للمراديّ:٢٠ (٣٦)
(٣٧) الحدود في علم النحو، الأُبَّذيّ (٨٦٠هـ) تحقيق: نجاة حسن عبد الله نولي، الطبعة العدد١١٢، السعودية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة ٣٣ (١٤٢١هـ=٢٠٠١م):٤٤١
الجنى الداني:٢٥ (٣٨)
(٣٩) رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقيّ (٧٠٢هـ) تحقيق: أحمد محمد الخرّاط، دمشق سوريا، مطبوعات مجمع اللغة العربية،:٤
(٤٠) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاريّ (٧٦١هـ) تحقيق: د . مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دمشق سوريا، دار الفكر (١٩٨٥م):١٧
الجنى الداني:٢٩ (٤١)
الكامل في اللغة والأدب:٧٣/٣ (٤٢)
(٤٣) دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة (١٤٠٤هـ) القاهرة مصر، دار الحديث،:٢٧٨/٢
ينظر مغني اللبيب:١٧ (٤٤)
ينظر معني اللبيب:٢٧ (٤٥)
(٤٦) ديوان عمر بن أبي ربيعة (٩٣هـ) بيروت لبنان، دار القلم،:٣٠
الكامل:١٨١/٢ (٤٧)
ديوانه:٢٠٩ مع اختلاف يسير في الرواية. (٤٨)
الكامل:١٣٢/٣ (٤٩)

(٥٠) الحماسة البصرية، أبو الحسن البصريّ (٦٥٩هـ) تحقيق: مختار الدين أحمد، بيروت لبنان، عالم الكتب،:٥٥/٢

الكامل:١٧٢/١ (٥١)

الكامل:١٧٢/١ (٥٢)

(٥٣) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ) تونس، الدار التونسية للنشر (١٩٨٤م):١١٢/٧-١١٣

ينظر المقتضب:٥٣/٢ (٥٤)

ينظر مغني اللبيب:١٣٧ (٥٥)

مغني اللبيب:١٤٤-١٤٩ (٥٦)

الكامل:٢٥٤/١ (٥٧)

دلائل الإعجاز:٣١٥/١ (٥٨)

ينظر الجنى الداني:١٥٨ (٥٩)

رصف المباني:٤١٧ (٦٠)

ينظر رصف المباني:٤٢٠ (٦١)

(٦٢) ديوان الفرزدق (١١٠هـ) شرح علي فاعور، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية (١٤١٧هـ=١٩٨٧م):٦٢٨

الكامل:٢٩١/١ (٦٣)

الكامل:٢٩١/١ (٦٤)

(٦٥) البيت لعبد بن الزبعرى، ينظر شعر عبد الله بن الزبعرى، الدكتور يحيى الجبوري، الطبعة الثانية، بيروت لبنان، مؤسسة الرسالة (١٤٠١هـ=١٩٨١م):٣٢

(٦٦) ينظر الكامل:٢٩١/١ وقد ذكره في موضع ثان من الكامل في سياق آخر هو حديثه عن قوله تعالى:{فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ} وأنّ العطف هنا لا يصح، وإنّما القصد منه الاشتراك (فأجمعوا أمركم وأعدوا شركاءكم) ينظر:٢٠٤/٢

(٦٧) ينظر شرح القصائد العشر، أبو زكريا التبريزيّ (٥٠٢هـ) إدارة الطباعة المنيرية (١٣٥٢هـ):١٣٣

الكامل:٢٦٣/١ (٦٨)

الكامل:٢٥٨/١ (٦٩)

الكامل:٢٥٩/١ (٧٠)

ديوانه:٦٢٨ (٧١)

الكامل:٢٨٩/١-٢٩٠ (٧٢)

الكامل:٢٩٠/١ وذكر موضعاً آخر لدلالة الواو على القسم ينظر:١٧٥/٢ (٧٣)

(٧٤) اللامات، أبو القاسم الزجّاجيّ (٣٣٧هـ) تحقيق: مازن المبارك، الطبعة الثانية، دمشق سوريا، دار الفكر (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م):٣١

مغني اللبيب:٢٧٤ (٧٥)

الكامل:١٩٧/٣ (٧٦)

(٧٧) المفضل بن المهلب بن أبي صفرة، ينظر التذكرة الحمدونية، ابن حمدون البغداديّ (٥٦٢هـ) الطبعة الأولى، بيروت لبنان، دار صادر (١٤١٧هـ):٢/٥٩

الكامل:١/٢٤٧ (٧٨)

اللامات:١٤٧ ورأيه هو رأي المبرّد نفسه في قوله تعالى﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾. (٧٩)

مغني اللبيب:٢٨٥ (٨٠)

ينظر مغني اللبيب:٢٨٤ (٨١)

(٨٢) لرجل يدعى الكلابيّ، ينظر شرح أدب الكاتب، ابن قتيبة (٥٤٠هـ) بيروت لبنان، دار الكتاب العربي،:٢٢٩

الكامل:١/٢٨٢ (٨٣)

مغني اللبيب:٣٣ (٨٤)

الكامل:٣/١٣٢ (٨٥)

(٨٦) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشريّ (٥٣٨هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت لبنان، دار إحياء التراث العربي،:١/٦٢١

ينظر الكامل:١/٢٦٨ (٨٧)

(٨٨) هو عبيد بن أيوب، ينظر الوحشيَّات وهو الحماسة الصغرى، أبو تمام (٢٣١هـ) تحقيق: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، الطبعة الثالثة، القاهرة مصر، دار المعارف، ،:٣٠

مغني اللبيب:٨٧ والنص القرآني من الآية ١٩ من سورة الكهف. (٨٩)

(٩٠) الرجز لصفية وهو مذكور في عدة مصادر، ينظر المعجم المفصّل في شواهد العربية، د. إميل بديع يعقوب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية (١٤١٧هـ=١٩٩٦م):١٠/٩٢

الكامل:٣/١٣٢ (٩١)

الكتاب:٣/١٨٢ (٩٢)

رصف المباني:٣٨٨ (٩٣)

الكامل:٣/٧٣ والنص القرآني من الآية ٧١ من سورة طه. (٩٤)

(٩٥) ينظر مثلاً معاني القرآن، الأخفش الأوسط (٢١٥هـ) تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، الطبعة الأولى، القاهرة مصر، مكتبة الخانجي (١٤١١هـ=١٩٩٠م):١/٥١ وجامع البيان:٢/٤١٢ وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسمّاة عناية القاضي وكفاية الرّاضي على تفسير البيضاوي، شهاب الدين الخفاجيّ (١٠٦٩هـ) بيروت لبنان، دار صادر،:٨/١٠٦

(٩٦) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبيّ (٧٥٦هـ) تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دمشق سوريا، دار القلم،:٨/٧٦

ينظر الكامل:٣/٧٣ (٩٧)

(٩٨) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) الطبعة الثالثة، بيروت لبنان، دار إحياء التراث العربي (١٤٢٠هـ):٢٨/٢١٨

ينظر مغني اللبيب:١/٣١٣-٣٣٧ (٩٩)

(١٠٠) حروف المعاني، الزجّاجيّ (٣٤٠هـ) تحقيق: علي توفيق الحمد، بيروت لبنان، مؤسسة الرسالة

(١٩٨٤م):٣١

ينظر مغني اللبيب:٣٢٦/١ والبيت في ديوان الفرزدق:٥٣٢ (١٠١)

(١٠٢) ينظر الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، السهيليّ (٥٨١هـ) تحقيق: عمر عبد السلام السلاميّ، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، دار إحياء التراث العربي (١٤٢١هـ=٢٠٠٠م):١٦٩/٧والحماسة البصرية:١٢٣/١

الكامل:١٠٩/١ (١٠٣)

ينظر رصف المباني:٢٨٩ فما بعدها (١٠٤)

رصف المباني:٢٩١ (١٠٥)

ينظر رصف المباني:٢٩١ (١٠٦)

ينظر رصف المباني:٢٩٢ (١٠٧)

(١٠٨) موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس (١٧٩هـ) تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود خليل، مؤسسة الرسالة (١٤١٢هـ):٩٦/٢

(١٠٩) الأخطل التغلبي، ينظر ديوانه شرحه مهدي محمد ناصر الدين، الطبعة الثانية، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية (١٤١٤هـ=١٩٩٤م):١٤٤

الكامل:٢٢٠/١ (١١٠)

الكامل:٢٢٠/١ (١١١)

مغني اللبيب:٣٤٩/١ (١١٢)

ينظر الجنى الداني:٤٧٦ (١١٣)

الجنى الداني:٤٧٦ (١١٤)

ينظر مغني اللبيب:١٩٠ فما بعدها (١١٥)

ينظر الكامل:١٤١/٢ (١١٦)

(١١٧) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، الدمياطيّ (١١١٧هـ) تحقيق: أنس مهرة، الطبعة الثالثة، لبنان دار الكتب العلمية (١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م):٥٢١

(١١٨) هو القحيف العقيليّ، والبيت وارد في مصادر عديدة منها أدب الكاتب (أو) أدب الكتّاب، ابن قتيبة الدينوريّ (٢٧٦هـ) تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة:٥٠٧ وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي (١٠٩٣هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة، القاهرة مصر، مكتبة الخانجي (١٤١٨هـ=١٩٩٧م):١٣٢/١

الكتاب:١٣١/٢ (١١٩)

(١٢٠) ينظر همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطيّ (٩١١هـ) تحقيق: عبد الحميد هنداوي مصر، المكتبة التوفيقية،:٥١٦/١-٥١٧

الكامل:٧١/١ (١٢١)

(١٢٢) شرح أبيات سيبويه، أبو سعيد السيرافيّ (٣٨٥هـ) تحقيق: الدكتور محمد علي الريح هاشم، القاهرة مصر، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (١٣٩٤هـ=١٩٧٤م):٣٦٦/١-٣٦٧

ينظر الكتاب:١٣٤/٢ (١٢٣)

(١٢٤) ينظر مثلا الأصمعيات، اختيار الأصمعي (٢١٦هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، الطبعة السابعة، مصر دار المعارف (١٩٩٣م):١٥٧ والاختيارين، الأخفش الأصغر (٣١٥هـ) تحقيق: فخر الدين قباوة، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، دار الفكر المعاصر، دمشق سورية ودار الفكر (١٤٢٠هـ=١٩٩٩م):٢٠٥

الكامل:١/ ٧٢ وينظر شرح المفصّل ابن يعيش:٥٦٦/٤ (١٢٥)

ينظر الكتاب:١٣٥/٢ (١٢٦)

(١٢٧) ينظر التعليقة على كتاب سيبويه، أبو علي الفارسيّ (٣٧٧هـ) تحقيق: د. عوض بن حمد القوزي، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ=١٩٩٠م):٢٧٣/٢

(١٢٨) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام (٧٦١هـ) تحقيق: عبد الغني الدقر، سوريا، الشركة المتحدة للتوزيع،:٣٦٨

ينظر حروف المعاني والصفات للزجاجي:٢٩ (١٢٩)

(١٣٠) شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد محمد الأزهري (٩٠٥هـ) الطبعة الأولى، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية (١٤٢١هـ=٢٠٠٠م):٣٣٤/١

الكتاب:١٣١/٢ (١٣١)

مغني اللبيب:٣٧٩ (١٣٢)

ينظر مغني اللبيب:٣٧٩ (١٣٣)

(١٣٤) نسبه الاصفهاني لابن عيينة، ينظر الأغاني، أبو الفرج الأصبهانيّ (٣٥٦هـ) تحقيق: سمير جابر، الطبعة الثانية، بيروت لبنان، دار الفكر:٩٩/٢٠

الكامل:٣١/٢ (١٣٥)

ينظر المقتضب:٧٠/٣ (١٣٦)

مغني اللبيب:٣٧٩ (١٣٧)

ينظر مغني اللبيب:٣٦١-٣٦٢ (١٣٨)

الكامل:٢٢١/١ (١٣٩)

ينظر الكتاب:١٣٩/٣ والكامل:٢٢١/١(١٤٠)